مجلة قضايا تاريخية

المجلد 05 العدد 01 تاريخ الصدور : 2020/12/21 م

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

قضايا الإصلاح في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس:
الأسس و المنهج

د. سفيان لوصيف

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

ملخص:

عرفت الجزائر بعد عقود من الاحتلال الفرنسي فترة الجمود و الخمول الفكري و الانحطاط الثقافي، نتيجة لعوامل الهيمنة الاستعمارية و ربط الثقافة و التعليم و الدين بالإدارة الفرنسية، و استمر ذلك إلى مطلع القرن 20 م أين بدأت تظهر نخبة جزائرية مثقفة لاسيما رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين عكفوا على النهوض بالمجتمع الجزائري في شتى الجوانب لاسيما ميدان الإصلاح، و كان الشيخ عبد الحميد بن باديس أبرز هؤلاء عالما و مصلحا و إماما، خصص جهده و فكره و علمه خدمة للدين و الوطن، في هذا المقال بالدراسة و التحليل أضواء و خطوط عريضة عن حياته و علمه أنا بصدد تناولها في مساره الإصلاحي الذي برز فيه مع ثلة من المصلحين مثل الإبراهيمي و التبسي و الميلي و العقبي و غيرهم.

Abstract: Decades after the French colonization ,Algeria knows a period of stagnation , intellectual inertia and cultural decline as a result of the factors of the colonial domination which relate culture , education and religion with the French administration ,this continued until the early of the 20 th century with the emergence of an Algerian cultured elite specially Man from organization of Algerian Muslims scholars ,who worked to promote the Algerian society in all fields ,specially the field of reform .

Chick Abd Alhamid Ben Badis was The most prominent ,He was scholar, reformer and Imam .In addition to this, he devoted his efforts, thought and knowledge to serve religion and his homeland.In this article, I deal by study and analyse the big lines and lights from his life and his knowledge of his reformation side where he was emerged with a number of reformers such as; El-Ibrahimi,Et- Bessi,Elmili, El-Okbi and some others.

الكلمات المفتاحية:– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.– الشيخ عبد الحميد بن باديس. – الإصلاح في الجزائر.– الثقافة و التعليم في الجزائر. – قسنطينة.

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

مقدمة:

شهد العالم الإسلامي خلال القرن 19 م و النصف الأول من الأول من القرن 20 م بروز علماء و مصلحين أمثال خير الدين التونسي و جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، فوجدوا الأمة مكبلة بأغلال عديدة تعوق حركتها و تقعدها عن النهوض، فمن الخرافات و الأوهام و الانحرافات في العقيدة الإسلامية، فعمل هؤلاء جميعا على تحرير الأمة من هذه القيود عقائديا و ثقافيا و اجتماعيا، حتى بلغ هذا الإصلاح بعض مقاصده، لكنه لم يذهب بعيدا في أن يضع الأمة على طريق النهضة لتستأنف شهودها الحضاري.

و مع مطلع القرن 20 م ظهر جيلا قرأ التجارب السابقة و ما أسفرت عنه من نتائج، فأدرك أن داء التخلف بلغ في جسم الأمة، و أن الأمر يحتاج إلى إحياء شامل لجسم الأمة، و ذلك بإحياء لجذوة الإيمان فيه لينظر إلى الحياة نظرة جديدة مستمدة في كل اتجاهاتها من مقتضيات ذلك الإيمان، و في قلب هذا الموكب الجديد من المصلحين احتل بن باديس موقعه لينطلق في مسيرة الإصلاح من أجل النهوض بالأمة لتستأنف دورها الحضاري.

مفهوم الإصلاح:

لغة: الإصلاح ضد الفساد و هو من الصلاح المقابل للفساد و للسيئة، و جاء في القرآن الكريم قوله عز و جل:" وَ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا..." (سورة الأعراف، الآية: 56)، فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل و الأحسن، فالحركات الإصلاحية هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد، في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني.

اصطلاحا:

لا يفرق بينه و بين التغيير، و إنما من حيث الأسلوب في التغيير و زمن التغيير، وزمن التغيير فكلاهما مصطلحين إسلاميين يعني التغيير الشامل و العميق، لكن التغيير يسلك غالبا سبل السرعة، بينما تتم التغيرات الإصلاحية بالتدريج، و تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان، و إعادة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، و بعد ذلك ينهض الإنسان هذا الإنسان بتغيير الواقع و إقامة

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

النموذج الإصلاحي الجديد، و لذلك وصفت رسالات الرسل بأنها دعوات إصلاح، فجاء في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى:" إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِيَ إِلاّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ "(سورة هود، الآية: 88).

و كانت الدعوة الإصلاحية شاملة لميادين الفكر الديني، و اللغة العربية و علومها و آدابها، و علاقات الحاكمين و المحكومين، و لقد تحولت فكرية هذه الدعوة الإصلاحية إلى روح سارية في الكثير من الدعوات و الحركات و المشاريع الفكرية للعديد من العلماء و المفكرين على امتداد العقود التي تلت و على امتداد أقاليم العالم الإسلامي[1].

الشيخ عبد الحميد بن باديس: سيرة مصلح

الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، كما و يعد ركيزة أساسية ارتكزت عليها الحركة الإصلاحية الجزائرية، و هو إلى جانب ذلك مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عائلته عريقة في التاريخ برزت منذ الفترة الإسلامية حين كان أجداده سادة المغرب الأوسط و مؤسسي الدولة الزيرية الصنهاجية نذكر منهم بلكين بن زيري و المعز بن باديس، و برزوا في الذود عن الدين من الشيعة الباطنية و بدعهم[2] .

ولد الشيخ في 4 ديسمبر 1889 بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري منذ عصور خلت، والده محمد المصطفى الذي كان مندوبا ماليا و مستشارا بلديا في عمالة قسنطينة، و له إخوة و أخوات مثقفون بين الثقافة الفرنسية و الثقافة العربية الإسلامية، بينما الشيخ عبد الحميد لم يدخل المدرسة الفرنسية نهائيا و لم يشتغل نهائيا أي وظيفة عند السلطات الفرنسية، فعائلة كانت معروفة بالثراء و الجاه و العلم[3].

اعتنى به والده منذ صغره فاختار له أحسن المدرسين في قسنطينة منهم الشيخ المداسي و الشيخ الونيسي، و يقر الشيخ عبد الحميد في فضل والده قائلا:" إن الفضل يرجع إلى والدي الذي رباني تربية صالحة و وجهني وجهة صالحة، و رضي لي العلم طريقة اتبعها و مشربا أرده، و قاتني و حماني من المكاره صغيرا و كبيرا و كفاني كلف الحياة "[4].

حفظ القرآن الكريم في صغره، و ولاه شيخه إمامة المصلين في الجامع الكبير بقسنطينة و عمره إحدى عشر سنة، و بعد عام 1908 أرسله والده إلى جامع الزيتونة

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

لمواصلة التعليم، و نال شهادة التطويع في سنة 1911، و في سنة 1913 قرر أداء فريضة الحج، و استقر خلالها في المدينة المنورة و هناك تعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي، و هناك أشار نصحه الشيخ حسين أحمد الهندي بالعودة إلى بلاده التي هي في حاجة إليه[5].

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عرفت الجزائر نشاطا و حراكا سياسيا و ثقافيا غير معهود من قبل، لاسيما نشاط رجال الإصلاح، الذين عكفوا على توحيد جهودهم في جمعية وطنية، فكللت جهودهم بالنجاح ففي يوم 05 ماي 1931 اجتمعوا بنادي الترقي بالعاصمة، و تكونت الجمعية من أبرز العلماء الجزائريين نذكر عبد الحميد بن باديس، العربي التبسي، البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، الطيب العقبي، الأمين العمودي، و ترأس اللجنة التأسيسية السيد عمران إسماعيل، و عين مجلس إداري من 13 عضوا، و رغم غياب الشيخ عبد الحميد بن باديس إلا أنه انتخب رئيسا للجمعية، و الشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له، و تحصلت الجمعية على الاعتماد من طرف الإدارة الفرنسية نظرا لليونة برنامجها كونها غير سياسية و حددت جمعية العلماء المسلمين " برنامجها في قانونها الأساسي الذي تضمن 24 فصلا تناول فيها الخطوط العريضة لعمل الجمعية، وتظهر أهداف الجمعية من خلال قانونها الأساسي و من خلال نشاطات أعضائها و كتاباتهم، و في مقدمة هذه الأهداف المحافظة على الدين الإسلامي و محاربة الخرافات و البدع و إحياء اللغة العربية و آدابها و تمجيد التاريخ الإسلامي ".

منهج الإصلاح عند الشيخ بن باديس:

لما عاد إلى الجزائر عمل على بعث نهضة دينية و علمية جديدة، فألقى دروسه في الجامع الكبير في قسنطينة و في الجامع الأخضر، و ألقى دروسه في تفسير القرآن بالجامع الأخضر" فاستمع إليه المئات، و جذبهم حديثه العذب، و نظراته الدقيقة، و فكره المتقد، و اتخذ ابن باديس من هذا المسجد مدرسة لتكوين القادة و إعداد النخبة التي حملت مشعل الإصلاح، و أخذت بيد الأمة إلى الطريق المستقيم، و كان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر، و يقضي نهاره معلما الأطفال الدين و علوم العربية حتى بعد صلاة

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

العشاء، ثم يستأنف دروسه في تفسير القرآن الكريم من التاسعة مساء حتى منتصف الليل للكبار، و داعيا إياهم إلى الالتزام بالدين و تغيير ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم "[6].

يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن أية عملية إصلاح في المجتمع يجب أن تقترن بالتعليم، و أن الفشل في هذا الميدان سيؤدي إلى الفشل في الجوانب الأخرى، لذا يربط بن باديس صلاح المسلمين و صلاح العلماء بالتعليم حيث عبر قائلا:" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كله، و إذا فسد فسد الجسد كله، و صلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام و عملهم به، و إنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم أهل جمود في العلم و ابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا الإصلاح فلنصلح علماءهم[7].

لم يكن للمنهج الباديسي أن يثبت و ينفذ في الحياة الجزائرية لو لم يتسم بجملة من العوامل الإيجابية المساعدة على تحقيق نجاعة العلاج و أهمها:

– طريقة الملأ بعد الخلاء، فقد عمل بن باديس في منهجه على التصدي لمحاولات الإذابة في الآخر، بعمليات إثبات الذات الحضارية المتميزة بشعار ' الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا '.

– الشمولية في المنهج حيث امتدت آثاره إلى كل فئات المجتمع، و على الخصوص الشباب، المرأة.

لذلك كتب للمنهج الباديسي التغييري النجاح، و كانت أبرز مظاهر نجاحه ممثلة في الاستجابة الجماهيرية العارمة بمناسبة الاحتفال بختم تفسير القرآن، و الفتنة الطائفية العنصرية التي أشعلها اليهود بقسنطينة، و افتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان، و تدشين دار الطلبة بقسنطينة، و غيرها من التظاهرات الإقليمية في مناسبات مختلفة[8].

بن باديس و القضايا الوطنية:

تمثل التربية في فكر بن باديس كل نشاط تعليمي يحدث تغييرا إيجابيا في جوانب شخصية المتعلم، في فكره و لسانه و وجدانه و سلوكه، بحيث يجعله يتلقى تربية شاملة تعزز ارتباطه بدينه و لغته، و تعمق شعوره بالانتماء إلى الوطن و التاريخ، و تجعله يحافظ على

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

شخصيته، و هذا المعنى محدد في القانون الأساسي الذي وضعه بن باديس لتأسيس جمعية التربية و التعليم، إذ ورد فيه:" بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين و بناتهم بالمحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم، و من الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي و الفرنسي و تعليمهم الصنائع..."[9].

ركز الشيخ عبد الحميد بن باديس على المسألة الجزائرية و رد على كل سياسي جزائري أو فرنسي خلال فترة الاستعمار خاض في الهوية الجزائرية، أو شكك في انتمائها الحضاري الإسلامي، فهو لا يقبل أية مساومة في هوية الجزائر العربية الإسلامية، و من قال غير ذلك فهو مخطئ لأن الأمة الجزائرية " أمة لها قوميتها و لغتها و دينها و تاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم، و أنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة هذا كله في حياتهم فيحترمون قوميتهم، و لغتهم، و دينهم، و تاريخهم، والأمة التي هم مرتبطون بها، و الحكومة التي هم مسيرون بقوانينها.

لا يمكن أن يخطر على بال أحد أن شخصية بن باديس في بعدها الديني و أفكاره الإصلاحية أن يكون التحرر من الاستعمار غير وارد في وعيه و فكره، أو غير مبرمج في حركته الإصلاحية، و إنما لم يجعل من ذلك شعارا معلنا، و لم يمض فيه على وجه العمل المباشر كان ذلك منه تصرفا واعيا مندرجا ضمن إستراتيجيته بعيدة المدى التي يكون فيها التصريح بمطالب الاستقلال و العمل المباشر من أجله عاملا مناقضا لتهيئة الأسباب التي تتضح بها الثمرة في إبانها، و لا تحبط في الطريق قبل فوات الأوان فيبوء العمل الإصلاحي كله بالخسران[10].

لقد ظل بن باديس يناضل من أجل الوطن، و ظل يسير في ضوء ذلك معلما و مصلحا و ساعيا في سبيل حرية بلده من كل ألوان الاستعمار، و قد تنوعت و تعددت في ذلك جهوده و تنوعت مواقفه، و يشدنا إلى الإمام في هذا المجال فخره و اعتزازه بأصالة الشعب الجزائري، و عمق جذوره، و سمو مكانته، و يرى الإمام أن المواطن الصحيح من تربطه بوطنه أواصر و ذكريات و أمال، و إن لهذا الارتباط تكاليفه و واجباته، و إلا كان المواطن موجودا بلا وجود، و في هذا المنحى

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

يقول بن باديس:" و النسبة للوطن توجب علم تاريخه و القيام بواجباته من نهضة علمية و اقتصادية و عمرانية، و المحافظة على سمعة شرف اسمه و سمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، و لا سمعة لقومه ".

كانت للشيخ عبد الحميد بن باديس مواقف و معارك سياسية مع الزعيم السياسي الدكتور محمد بن جلول، الذي اتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالتطرف، و فرحات عباس الذي أنكر في بداية مشواره السياسي الشخصية القويمة الجزائرية، فكتب الشيخ بن باديس مقالا دحض فيه ما تبناه فرحات عباس من أفكار لا تستند إلى وقائع تاريخية و رافضا فكرة الإندماج مع فرنسا التي يدعو لها هذا التيار الذي آمن بفرنسا و ثقافتها.

و من بين ما عبر به قوله:" نحن فتشنا في صحف التاريخ و فتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما وجدت كما تكونت و وجدت كل الأمم، و لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، و لها وحدتها الدينية و اللغوية، ثقافاتها الخاصة و عوائدها، و أخلاقها، بما فيها من حسن و قبيح، شأن كل أمة في الدنيا، إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصير فرنسا، و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها "[11].

كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الإخلاص و الوفاء للوطن قائلا:" و الإخلاص أن تعمل لوطنك و لو أنكرك و أنكر عملك أبناء وطنك، و تكريس العمل أن تكون جميع أعمالك عائدة بالخير على وطنك، فتستطيع أن تنفع الناس كلهم دون أن تضر وطنك، فتكون خدمت قد وطنك بما زرعت به من محبة في قلوب من أحسنت إليهم من الناس، فأحبب وطنك، و لا تبغض أوطان الناس، انفع وطنك و لا تضر أوطانا أخرى، بل اجتهد لأن تكون مصدر محبة شاملة و نفع عام "[12].

هيكل علماء الجزائر أنفسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عقب الاحتفالات المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس[13]: « من المعلوم أن الأمة الجزائرية هبت بعد مرور قرن من الاحتلال لتأخذ قسطا من الحياة، من

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

نـواحي عديـدة و خصوصـا الناحيـة الدينيـة والعلمية » .

أثارت هـــذه الاحتفـــالات ســـخط الجزائـريين بحـدة، و مـن ناحيـة أخـرى حفـزت فـيهم الهمـة لاسـتغلال الظـرف و الشـروع في بعث الأمة، و إرساء مشروع ثقافي وطني يرد علـى أوهـام المـؤرخين الفرنسـيين الـذين أنكـرا ذاتيـة و هويـة الجزائـري[14]، بـدأت تـبرز أولى الكتـابات التاريخيـة الوطنيـة الـتي توضـح وجـود الـوطن منـذ العصـور القديمـة، و أكـدت تاريـخ الجزائر و أبرزت بطولات زعمائه عبر التاريخ، و كـان مـن الرعيل الأول الشيخ مبارك الميلي، أحمد توفيق المدني، عبد الرحمان الجيلالي، فرغم ضعفها في منهجها العلمي إلا أنها تحتوي على رسالة وطنية و تربوية و تاريخية[15].

شـرعت جمعيـة العلمـاء في أداء عملهـا الإصـلاحي وفـق شـعارها ' الإسـلام ديننـا و العربيـة لغتنـا، و الجزائـر وطننـا ' فقـد ضـحى قادتها بنعيم الحياة و زخرفها، مسخرين طاقاتهم في الـوعظ و الإرشـاد مـدافعين عـن القـيم الجزائريـة الـتي تشـكل هويـة الجزائـري و شخصـيته، فكانـت محـاور برنامجهـا الإسـلام الذي يجب العمل على إصلاح عقائده و صد العدوان عن معابده و أوقافه، و إحياء العربية في آدابها و تاريخها و التمسك بالوطنية الجامعة بين الإسلام و العربية[16].

خاضت جمعية العلماء المسلمين حربا مكشوفة على الاستعمار، و ضد سياسته في محاربة الإسلام و الفرنسة و التجهيل، و بصفة عامة محاربة التغريب الثقافي بإتباع أساليب و وسائل ذكية، فكانت لها منذ البداية مواقف صريحة إزاء ذلك نجسدها في أوضح مثال عبر عنه عبد الحميد بن باديس بقوله[17]: « قد فهمنا و الله ما يراد بنا، أننا نعلن لخصوم الإسلام و العربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة، عزمنا و سنمضي بعون الله في تعليم ديننا و لغتنا، رغم كل ما يصيبنا و لن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا ».

تعكس هذه التصريحات عمق رسوخ العمل الإصلاحي و الثقافي في نفوس العلماء، الذين عكفوا على رسالة النهوض بالجزائر التي بدأت تشهد صحوة لم تعرفها منذ زمن، فأيقظت الجزائريين من السبات و دفعت الأمة إلى حفظ تراثها من المسخ والتحريف[18]، كل هذا بتنظيمات و وسائل جندتها لنشر فكرتها من مدارس، صحافة، نوادي ثقافية، مساجد و كان أهم ميدان ركزت جمعية العلماء عليه

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

جهودها هو ميدان التربية و التعليم، كونه وسيلة تثقيف و توعية دينية و وطنية في جميع الفئات صغارا و كبارا إناثا و ذكورا، و رغم الصعوبات و العراقيل فقد كانت مدارسها تناهز 150 مدرسة، يقارب عدد من يرتادها 50 ألف من البنين و البنات، و قد كلل عملها الدؤوب بتأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947 [19].

التربية و التعليم و في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس:

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يعطي الأولوية للبعد التربوي و يجعله الغاية الأساس من كل عمل تعليمي، و هذا ما بين فلسفة الشيخ في هذا الميدان، فهو دائما يربط التربية و التعليم و يعتبرهما شيئا واحدا أو عمليتين متكاملتين، ثم أنه يحرص أشد الحرص كله على توسيع مجال نشاطه التعليمي ليشمل كل الفئات العمرية و الأعمار باعتبار التعليم حق كل فرد.

المتتبع لجهود بن باديس و نضاله يلمس المكانة البارزة التي تحتلها التربية و التعليم ضمن أعماله افكرية و جهوده الإصلاحية، و هذا يدل دلالة واضحة على الأهمية التي أعطاها للنشاط التربوي، باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل تغيير، فالتربية عنده الحجر الأساس في كل عمل بنائي، لذلك أعطاها كل جهده و وقته، و جند لها رفاقه و تلاميذه الذين شدوا أزره، و ساعدوه في تنفيذ المشروع الذي صممه، و استنهضوا معه همة الشعب و نخوته ليقوم بإنشاء المدارس و تمويل المشاريع التعليمية، و ليلتفت حول جمعية العلماء المسلمين، و يستند جهدها في نشر العلم و بث الوعي الوطني و الديني و السياسي، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:" إن الأمم لا تنهض إلا بعلمائها، فهو الذي يحل الأفكار من عقولها و يزيل على الأبصار غشاوتها و يبعث الهمم من مراقدها، و يدفع الأمم إلى التقدم في جميع الحياة "، فالتعليم إذن هو الحياة و التقدم، هذا ما آمن به بن باديس و سعى له و عمل به طوال حياته[20].

ترك بن باديس من آراء و أقوال و تصورات في مجال التربية، و في ما يلي أهم المحاور التي يستخلص منها الفكر التربوي البادیسي:

- الآراء و الأقوال التي يعالج بها قضايا التربية.
- المبادئ و التوجهات التي تؤسس مشروع التربية كما يتصوره.

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

– الأهداف و الغايات التي تصورها و تصور من خلالها كيف يعد الإنسان الذي يريده المجتمع.

– المضمون التعليمي الذي هو جوهر العملية التعليمية و التربوية الذي هو أساس بناء الإنسان.

– الطرق و الأساليب التي تعتمد في تنفيذ العملية التعليمية[21].

قضايا المرأة في فكر بن باديس:

دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تعليم المرأة و رأى تكوينها و إعدادها لتكون مستعدة للوقوف مع الرجل في السلم و الحرب، فإنه يرى أن المهمة الأساسية للمرأة هي تربيتها و تربية أبنائها، و هذه النظرة واقعية من رجل حكيم، لأن المرأة الجاهلة لا يمكن أن تنشئ جيلا متماسكا، فحرص على ضرورة تعليمها كما أن المرأة العاملة لا يمكنها و إن بذلت كل الجهود أن تكون مستقرة و تكون بيتا مستقرا، و من مهام المرأة تكوين الأجيال و تنشئة الأطفال تنشئة إسلامية، و هذا يتوقف على أخلاق المرأة و تدينها.

و يرى بن باديس أن الضعف الديني و الخلقي في رجال الأمة إنما هو انعدام التربية الإسلامية في البيوت، و في ذلك يقول:" فإن أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات، و لا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا و تربيتهن تربية إسلامية، و إذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال، و شر من تركهن جاهلات بالدين إلقاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين أو تحقره في أعينهن فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلا مثلهن... "[22].

خاتمة:

كانت حياة بن باديس ثرية و خصبة، و صفحة مشرقة في التاريخ، فرغم قصر حياته لن تتجاوز الخمسين سنة لكنها كانت مليئة و طويلة بالعمل، فكان قامة فارعة و ارتفاع الوطنية و العقيدة إلى مرتبة الفدائية، و نلمح ذلك من قوله:" إننا نعتصم بالحق و نعتصم بالتواضع عندما نقول أننا شعب خالد ككثير من الشعوب، لكننا نصف التاريخ إذا قلنا: إننا سبقناها في ميادين الحياة، سبقنا هذه الأمم في نشر الحق أيام كانت في ظلمات من الجهل حالكة، أيام كانت تسبح في لجج من الأوهام و الخيالات، و ذلك ما كنا فيه، و ما

تاريخ الارسال:2017/10/20 تاريخ القبول:2020/01/21 تاريخ النشر 2020/12/21

سنعود إليه إن شاء الله، و إنما علينا أن نعرف تاريخنا، و من عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود، و لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر و المستقبل إلا في هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة ".

الهوامش:

[1] عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث و المعاصر، محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا، دار الهدى، الجزائر، ص. 269.

[2] عبد الكريم بوصفصاف: ابن باديس الرمز في ذكراه الثانية و الستين، منشورات مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، مطبعة دار الهدى، عين مليلة، ص. 6.

[3] المرجع نفسه، ص. 6، 7.

[4] المرجع نفسه، ص.9.

[5] المرجع نفسه، ص.27.

[6] السيد يوسف: عبد الحميد بن باديس: سيرة عالم شغل ببناء الإنسان عن تأليف الكتب.

[7] الشهاب، ج 1، م 10، رجب 1353 أكتوبر 1934.

[8] عبد الرزاق قسوم: حاجة الجزائر اليوم إلى المنهج الباديسي، مجلة الوعي، عدد خاص، ص.33.

[9] آثار عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص.103.

[10] عبد المجيد النجار: ملامح الإستراتيجية السياسية للإمام عبد الحميد بن باديس، مجلة الوعي، ص.83.

[11] الشهاب، م 12، ج 1، أفريل 1936.

[12] الشهاب، ج 3، 14 جمادى الأولى، ماي 1938.

[13] محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتغريب، منشورات دحلب، الجزائر، ص.120.

[14] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1981، ص.85.

[15] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص.32.

[16] Ali Merad: Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale, les éditions El-hikma, Alger: 1999, pp.144, 145.

[17] محمد الميلي: ابن باديس و عروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص.151، 152.

[18] محمد الصالح رمضان: " جمعية العلماء و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي"، مجلة الثقافة، ع 85، الجزائر، 1984، ص.359.

[19] المرجع نفسه، ص ص.364- 367.

[20] عبد القادر فضيل: الفكر التربوي الباديسي الحاضر و الغائب، مجلة الوعي عدد خاص، ص. 65.

[21] عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص. 84.

[22] عمار طالبي: بن باديس حياته و آثاره، ج 4، 201، 202.